حجة ، ويزول ذلك عند تحقق المعرفة ، والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات ، فإن العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم على ما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون:٩١] فالمحققون كالغزالى وابن الهمام والبيضاوى ما قنعوا بالإقناعية وجعلوها من الحقائق القطعية ، بل قيل : يكفر قائلها ، والمسألة مستوفاة فى الكتب الكلامية ، ثم اعلم أن ﴿ لَوْ ﴾ فى هذه الآية ليست لانتفاء الثانى فى الماضى بسبب انتفاء الأول كما هو أصل اللغة ، بل الاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط من غير دلالة على تعين زمان ، فإنه قد يستعمل بهذا المعنى فى بعض المبنى .

الله لا يشبه شيئًا من خلقه :

لا يشبهه شىء من الأشياء من خلقه أى : من مخلوقاته ، وهذا لأنه تعالى واجب الوجود لذاته ، وما سواه ممكن الوجود فى حد ذاته ، فواجب الوجود هو الصمد الغنى الذى لا يفتقر إلى شىء ويحتاج كل ممكن إليه فى إيجاده وإمداده قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ [محمد:٣٨] فإذًا وجوده عين ذاته ، وصفاته ليست عين ذاته خلافًا للفلاسفة ، **ولا** غير ذاته كما تقوله المعتزلة ، **ولا** حادثة كما تقوله الكرَّامية [١] ، بخلاف المخلوقين فإن صفاتهم غير ذاتهم عند الكل والحاصل أن الفلاسفة والمعتزلة نفوا الصفات احترازًا عن تعدد القدماء ، وكذا الأشاعرة حيث ذهبوا إلى نفى غَيْريتها وعَيْنيتها فى تحقيق الأسماء . **ولا يشبه شيئًا من خلقه** تأكيد لما قبله ، وتقرير لما قدمه ، وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] أى كذاته ، أو صفته، أو لأن نفى المثل مستلزم لنفى المثل بطريق البرهان ، كما حققه بعض الأعيان ، ولا نقول بزيادة الكاف ، أو المثل ، لأن المثل المطلق هو المساوى من جميع الوجوه.

---

(١) فرقة من الفرق المجسمة .

وفى «شرح القونوى» [١] قال نعيم بن حماد : من شبه الله بشىء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وقال إسحاق بن راهويه : من وصف الله فشبّه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم ، وقال : علامة جهم وأصحابه : دعواهم على أهل السنة والجماعة وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة بل هم المعطلة ، ولذا قال كثير من أئمة السلف : علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ، فإنه ما من أحد من نفاة شىء من الأسماء والصفات إلا يسمى المثبت لها مشبهًا ، حتى بعض المفسرين كعبد الجبار والزمخشرى وغيرهما من المعتزلة والرافضة يسمون كل من أثبت شيئًا من الصفات، أو قال برؤية الذات مشبهًا .

والمشهور عند الجمهور من أهل السنة والجماعة أنهم لا يريدون بنفى التشبيه نفى الصفات ، بل يريدون أنه سبحانه لا يشبه المخلوق فى أسمائه وصفاته وأفعاله، كما بينه الإمام بيانًا شافيًا **لم يزل** أى فيما مضى **ولا يزال** أى فيما يبقى **بأسمائه** أى : منعوتًا بأسمائه **وصفاته الذاتية** كالعلم والحياة والكلام ، وهى قديمة بالاتفاق **والفعلية** أى: موصوفًا بصفاته الفعلية كالخلق والرزق ونحوهما، فمذهب الماتريدى أنها قديمة ، ومذهب الأشاعرة أنها حادثة ، والنزاع لفظى عند أرباب التدقيق كما يتبين عند التحقيق ، وبيانه أن واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته كأسمائه وصفاته ، والمعنى أنه ليست له صفة منتظرة ، ولا حالة مستأخرة ، إذ ليست ذاته محلاً للأعراض ، فإن ذاته كافية فى حصول جميع ما له من الصفات والحالات التى بها تتم الأعراض ، ولأنه لو لم تكن ذاته كافية فى حصول ذلك لكانت محتاجة إلى ظهور الغير هنالك ، وكل محتاج إلى الغير فهو ممكن الوجود ، وقد ثبت أنه واجب الوجود ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ**

---

(١) المسمى الزبدة شرح العمدة فى أصول الدين .

الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] أى : غنى بذاته وصفاته عن ظهور مصنوعاته ، وهو حميد بنعوته وأسمائه سواء حمده أو لم يحمده أحد من سواه ، فهو منزه عن التغير والانتقال ، بل لا يزال فى نعوته الفعلية منزهًا عن الزوال ، وفى صفاته الذاتية مستغنيًا عن الاستكمال ولا يلزم من حدوث متعلقات هذه الصفات حدوث الصفات كالمخلوق والمرزوق والمسموع والمبصر وسائر الكائنات وجميع المعلومات .

شرح الصفات الذاتية وبيان مسمياتها :

أما الذاتية أى : الإجماعية **فالحياة** وهى : صفة أزلية تقتضى صحة العلم لموصوفها **والقدرة** وكذا القوة صفة أزلية تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها ، والمعنى أن الله تعالى حى بحياته التى هى صفته الأزلية الأبدية ، وقادر بقدرته التى هى صفته الأزلية السرمدية ، والمعنى : أنه إذا قدر على شىء فإنما يقدر عليه بقدرته القديمة لا بالقدرة الحادثة كما توجد للأشياء الممكنة ، فهو الحى القيوم ، أى القائم بذاته ، المقيم لموجوداته ، وأنه يحيى الموتى من العدم بداية ، ومن بعد إماتتهم إعادة ، وهو على كل شىء قدير حيث خلق الخلق وأعطاهم الحياة والقدرة والرزق ، ومعنى كونه قادرًا أن يصح منه إيجاد العالم وتركه **والعلم** أى من الصفات الذاتية، وهى صفة أزلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها ، **فالله** تعالى عالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى العلويات والسفليات ، وأنه تعالى يعلم الجهر والسر وما يكون أخفى منه من المغيبات بل أحاط بكل شىء علمًا من الجزئيات والكليات، والموجودات والمعدومات، والممكنات والمستحيلات، فهو بكل شىء عليم من الذوات والصفات بعلم قديم لم يزل موصوفًا به على وجه الكمال ، لا بعلم حادث حاصل فى ذاته بالقبول والانفعال ، والتغير والانتقال ، تعالى عن ذلك شأنه وتعظم عما نهاك برهانه وهو سبحانه يعلم ما

يكون ويعلم ما لا يكون لو كان كيف كان لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨] وإن كان يعلم أنهم لا يردون.

قال الإمام عبد العزيز المكى صاحب الإمام الشافعى وجليسه فى كتابه الذى حكى فيه مناظرته لبشر المريسى عند المأمون حين سأله عن علمه تعالى ، فقال بشر: أقول لا يجهل ، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم تقريراً له ، فقال الإمام عبد العزيز : نفى الجهل لا يكون صفة مدح ، فإن هذه الاسطوانة لا تجهل، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم لا بنفى الجهل ، فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل ، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم ، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وينفوا ما نفاه ، ويمسكوا عما أمسك عنه ، وقد قال تعالى : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] وقال : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام: ٦٠] ثم فى قوله تعالى : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ إيماء إلى أن من المخلوقات ما هو عالم ، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالمًا ، فهو كما قال الطحاوى : لم يخف عليه شىء قبل أن يخلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، بل كما قال بعض المحققين من أنه سبحانه يعلم ما كان من بدء المخلوقات ، وما يكون من أواخر الموجودات ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١] وما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣] وكما قال : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٨] وإن كان يعلم أنهم لا يردون ، ولكن أخبر أنهم لو ردوا لعادوا وفى ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا : إنه لا يعلم الشىء قبل أن يخلقه ويوجده .